مقتضى الحال مفهومه وزواياه
في ضوء أسلوب القرآن الكريم

د. سميرة عدلي محمد رزق
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

ملخص البحث

دار البحث حول محورين أساسيين:

أولهما: توضيح معنى "مقتضى الحال" وهو الاعتبار المناسب الذي يستدعي اشتمال الكلام على سمات وخصائص أسلوبية تناسب المقام أو الحال الذي يلقى فيه .

وثانيهما : إضاءة زوايا هذا المفهوم ، وتوضيحها بالشواهد القرآنية المناسبة ، مع بيان ما اشتملت عليه من سمات أسلوبية خاصة . وتبين - خلال ذلك التوضيح - أن الكلام قد يراعى فيه حال السياق نفسه ، أو حال المتكلم وإحساسه بقوة المعنى الذي يتحدث عنه ، أو حال المخاطب وما يحيط به من ظروف مختلفة .

والجدير بالذكر أن بعض الحديث قد يأتي مخالفاً للحال الظاهرة أمام ملقيه - ومع ذلك - يحكم عليه بالبلاغة لأسباب لم يغفلها البحث أيضاً من الذكر والتدعيم بالشواهد المناسبة من القرآن الكريم .

ونبه البحث إلى ضرورة حِذق المتكلم ومهارته في إدراك ملابسات الأمور حوله ليأتي حديثه على هذه الخصوصية المسماة ب "مراعاة مقتضى الحال"؛ فيكون بذلك قد أدى الوظيفة الأساسية للفن البلاغي وهي : "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" .

• • •

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد...فهذه قطرة نغرفها من بحر لا ينتهي عطاؤه ولا يبلغ مداه... وكيف ينتهي

ذلك العطاء وهو من المعطي الأول والأخير - عز وجل - وهل يبلغ منتهاه ولا يعلم ذلك إلا الله؟!

نعم ذلك هو أسلوب القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... وهو العطـاء المتجدد والينبوع الصافي العذب الذي بهر العقول وأراح النفوس وطمأن القلوب ... وكيـف لا يكـون كذلك وقد راعى الأحوال وقدر الظروف وسبر أغوار النفوس ... ؟! فجاء - رغم كلّ ذلك - مقتضيـاً للحال مغنياً في كل مقام عن أي مقال ومقال!

هذا وقد تناول البحث في هذه القطرة اليسيرة :

(مقتضى الحال - مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم)

وذلك وفق المنهج الآتي :

تمهيد- ويشمل الإشارة إلى بعض النصوص التي وردت فيها معنى "مقتضى الحال"، ثم كان :

المحور الأول : ويشمل :

شرح العبارة وبيان أن المقصود بمقتضى الحال هـو الاعتبـار المناسـب المستـدعي للسمـات والخصائص التي يأتي عليها أسلوب المتكلم ليوافق حديثه المقام أو الحال الذي أنشأ له كلامه ، وقـد دعم هذا التوضيح - لمفهوم مقتضى الحال - بنصوص ذكرها بعض العلماء والنقاد والدارسـين فـي اللغة والأدب والبلاغة سواء منهم المحدثين أو القدماء مـن أمثـال د. إبراهيم أنيـس والـدكتور بدوي طبانة والدكتور إبراهيم السمرائي والدكتور محمد أبو موسى والعقاد والدكتور علـــي عبد الواحد وافي والشيخ عبد القاهر الجرجاني وابن رشيق والقاضي الجرجاني وابن خلدون وغيـرهم ، ولـم يـُراع في ذكـر هـذا النصوص .

التسلسل الزمني لقائليها؛ وإنما روعي حاجة السياق في البحث إلى كل نص منها ، ليكـون ذلـك تطبيقًا عمليا لموضوع البحث في البحث الذي بين يدي القارىء .

وخُتم هذا الباب ببيان أن القرآن الكريم هو خير ما يمكن أن يستشهد به في بيان صحة مفهوم هذه العبارة ، لأنه خير الأقوال التي جاءت مطابقة للحال ومقتضية له .

أما **المحور الثـاني** فكان مخصصا لتحديد زوايا مفهوم "مقتضى الحال" ثم إضاءتها على ذلـك فـي ضوء أسلوب القرآن الكريم ، وهذه الزوايا هي :

أ- حال السياق

ب- حال المتكلم

ج- حال المخاطب

وقد ركز البحث على ذكر أمثلة وشواهد من القرآن الكريم على كل زاوية مـن الزوايـا السابقـة وتوضيح الطريقة الأسلوبية المتبعة في كل مثال منها لبيان قُدرة القرآن الكريم - ذلك الكتاب الفـذ - على التعبير عن كل الأحوال ومراعاة جميع الظروف والملابسات التي تحيط بالمقام الذي جاءت فيـه الآية الكريمة... الأمر الذي يدعو دائما إلى الاعتراف بإعجازه البياني والـذي أذهـل - مـن قبـل - فُصحاء العرب وجلة شعرائهم وأدبائهم .

كما لم يغفل البحث خلال هذه الشواهد ذكر شواهد أخرى من القرآن الكريم نفسه لم يـراع فيهـا السياق مقتضى الظاهر ومع ذلك جاء الأسلوب بليغًا مصيبا للهدف الذي سيق من أجله .

ثم كان التعقيب في نهاية البحث ، أشير فيه إلى أن ما لم يذكره البحث أغنى عنه ما ذُكر ، سـواء كان ذلك في نقطة خروج الكلام على مقتضى الظاهر أو ما كان على خلاف مقتضى الظاهر ، ومـا ذاك إلا لأن الأحوال كثيرة ومقتضياتها مثلها ومجال نشر البحث لا يسمح بأكثر مما ذُكر ، ولـولا الإيمـان

بالمقولة القائلة : "ما لا يدرك كله لا يترك كله" ما كانت الجرأة على أخذ هذه القطرة اليسيرة مـن ذلك الخضم الهائل الذي غرف منه علماء البلاغة من أساتذتنا ومعلمينا جزاهم الله عنا خير الجزاء .

ولعل من أسباب اختيار هذا الموضوع هو :

الرغبة في إيضاح عبارة "مقتضى الحال" بكل أبعادها ، نظرا لما لا حظته أثناء تدريسي في الجامعة لمادة البلاغة ، ومن تخبط الطالبات في تحديد هذا المفهوم - واقتصارهن في فهمه على زاوية واحدة فقط وهي حال المخاطب- ، ولما جنيته من نتيجة - أحمد الله عليها - عند إيضاحه لهن - كما ينبغي - .

من هنا كان الدافع قويا إلى تخصيص هذا العمل المتواضع لإلقاء الضوء على زوايا هذا المفهوم ، وتحديدها تحديدا يساعد طلبة العلم وطالباته على الفهم الصحيح لها .

أما كون شواهد البحث مستمدة من القرآن الكريم فما ذاك إلا لكون القرآن الكـريم - وهـو أمـر لايخفى على دارسي اللغة وعلمائها - هو المورد الأصيل والمثال النادر لكل درس لغوي أو بلاغـي - بلا جدال- فضلاً عن الرغبة الأكيدة في خدمة كتاب الله العزيز قبل أي شيء آخر ، ثـم فـي قضـاء سويعات ممتعات في تأمل آيات الله الكريمات ودراستها... لتستريح بهذه الدراسة النفس ، ويطمئن لها الفؤاد ، ويقوم بها اللسان .

وبعد... فهذا جهد المقل والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يجعل هـذا العمـل خالصـا لوجهـه الكريم... خادما لقرآنه العظيم... مضيئًا لطلاب العلم بعض السبيل... إنه على كل شيء قدير .

التمهيد :

قبل التعرض لمقتضى الحال ومفهومه ينبغي الإشارة أولاً إلى الموضع أو المناسبة التي وجِد فيهـا هذا التعبير "مقتضى الحال" ومنها تدرك أهميته...

يصادف القارىء هذا التعبير عند قراءته لتعريف بلاغة الكلام لدى القزويني في قوله:

"والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"([١])

كما نلمح هذا التعبير أيضا في التعريف بعلم المعاني ، فيقال :

"هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"([٢])

ولست بصدد التعريف بعلم البلاغة بصفة عامة ولا بعلم المعاني بصفة خاصة - هنا - فقد اكتظت المؤلفات البلاغية بذلك ولكن هدف هذا العمل هو توضيح هذا المفهوم من خلال وضع النقـاط علـى الحروف ، أو بالأحرى إضاءة بعض الزوايا التي تحتاج إلى إضاءة في هذا المفهوم ، مع ذكر بعـض الأمثلة والشواهد القرآنية المدعمة لذلك .

توضيح معنى "مقتضى الحال" ، ومفهومه لدى الدارسين :

المقتضى هو الاعتبار المعين الذي يستدعي مجيء الكلام على صفة مخصوصة مناسـبة للحـال ، كالتأكيد في حال الإنكار أو التردد مثلاً([٣]) .

ولا شك أن هذا المقتضى يتغير بتغير المناسبة أو المقام ، فاعتبار الكلام اللائق بمقام ما يختلـف عن الاعتبار اللائق بآخر([٤]) .

وقد يتوهم السامع أن الحال شيء متعلق بورود الكلام على خصوصية معينة في زمن معين . وأن المقام هو المكان الذي قيل فيه ، ولكن الحقيقة غير ذلك إذ إن الحـال والمقـام شـيء واحـد([٥]) ، والاختلاف يكون في الاستعمال .

"فالمقام يستعمل مضافًا للمقتضيات فيقال : مقام التأكيد مثلاً والحال يستعمل كثيرا مضافًا للمقتضى فيقال حال الإنكار فالإضافة بيانية"([٦]) .

ويشرح مؤلف معجم البلاغة العربية ذلك قائلاً : "والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما ، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال"([٧]) أي أن يؤدى الكلام بسمات معينة مناسبة للمقام أو الحال الذي يلقى فيه ذلك الكلام .

ولا شك أن مقتضى الحال يتفاوت بتفاوت المقامات والأحوال . فقد يقتضي الأمر إلى تنكير المسند أو تقديمه على المسند إليه ، وقد يدعو الحال إلى تعريفه أو حذفه لدلالة القرائن عليه ، وقد يباين مقام الوصل مقام الفصل([٨]) .

ولإصابة المفصل في هذه الأمور جميعاً وتلك الأغراض ، لا بد من حِذق المتكلّم ومهارته في إدراك ما حوله من ملابسات الأحوال أو ظروف السامعين ومستوى ثقافتهم وسبر نفسياتهم وإلا أخطأ الهدف وضل الطريق .

لذا اعتبر القرآن الكريم هو أعلى درجات الكلام بلاغة وأكثرها مطابقاً للأحوال ، وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن عليم خبير بدقائق الأمور ومقتضياتها ، وصدق - عز وجل - في قوله([٩]) :

{ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا }

فالتعبير المطابق لمقتضى الحال لا بد وأن يشتمل على خصائص في الصياغة وأوضاع في التراكيب تدل دلالة واضحة على معان يكون بها الكلام تاماً وافياً بالغرض مطابقًا لمتطلبات الموقف الذي سيق من أجله([١٠]) .

فإذا أريد - مثلاً - التعبير عن رجل له صفات الرجولة والأخلاق المحمودة بكلام مطابق لمقتضى الحال قيل : "هو الرجل" بإثبات "أل التعريف" للمسند ، فوقع الكلام - كما هو ملاحظ - مشتملاً على خصوصية معينة اقتضاها المقام النفسي تجاه هذا الرجل الممدوح وهو الاحترام له ولصفاته الحسنة .

يقول د. أبو موسى :

"المطابقة إذاً تعني الصدق والوفاء بما في النفس"

أو كما قال العلوي :

(هي وصول الإنسان بعبارته كنه ما في قلبه...)([١١]) .

ولكن السؤال هنا ، كيف تصل العبارة إلى السامع وصولاً صحيحا؟ فليس المقصود قطعاً مجرد التعبير عن ما في النفس وإنّما لا بد من اعتبار حال السامع ومطابقتها من جوانب مختلفة أهمها ، حالته النفسية ومستواه الثقافي وحسه الفنّي ولهجته وإلا أصبح الكلام غير مطابق لمقتضى الحال ، وبالتالي لا يفي بما أريد منه .

يقول د. إبراهيم أنيس - وهو بصدد الحديث عن الحركات الإعرابية وعدم ضرورة وجودها لتمييز الفاعل عن المفعول - : "...... هذا إلى ما نعهده من أن لكل كلام ظروفاً ومناسبات ويعرف المتكلم كما يعرف السامع ما تتطلبه هذه الأمور من تعابير لغوية فليست اللغات مفردات ترد في المعاجم ، ولا جملاً منفصلة تدون في الصحف ، وإنما الأصل في كل لغة أن تكون في صورة كلام يتصل اتصالاً وثيقاً بالمتكلّمين والسامعين ، فهم أعرف بمواضعه وملابساته ولا يشق عليهم تمييز الفاعل من المفعول في أي كلام على ضوء تلك الظروف والملابسات"([١٢]) .

كما يوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني وهو بصدد الحديث عن الاستعارة والتخييل بقوله :

"وهذا موضع لطيف جدا لا تنصف منه باستعانة الطبع عليه ، ولا يمكن توفيه الكشف فيـه حقـه بالعبارة لدقة مسلكه"([١٣])

ويدخل في دقة المسالك هذه العناصر التي يستمد الخيال منها صوره والمعين الذي يمده بـذلك ...؛ فعند اختيار صورة ما لا بد لمنشئها أن يضع اعتبارات مختلفة أمامه عند إنشائه لهـا تختلـف هـذه الاعتبارات باختلاف البيئات والأمم والعصور . وهذا ما تجده في كتب الأدب وتاريخه ، فكل بيئة متأثرة في صورها بمقوماتها الطبيعية والاجتماعية وما تشتمل عليه من شؤون وتوحي بها من اتجاهات .

وفي كل أمة بنظمها الخاصة ، وأساليب حياتها وما وصلت إليه في سلم الارتقاء المادي والمعنوي وفي كل عصر بنزعاته العامة ودرجة حضارته وما جرى فيه من أحداث([١٤]) .

يقول د. إبراهيم السمرائي في هذا :

"وقد تكون في الفصيحة مجازات غير معروفة في الألسنة الدارجة ذلك أن المجاز يتـأثر بالبيئـة التي تدرج فيها المجموعة البشرية فأصحاب الحرف والأصناف يقذفون بمجازاتهم المألوفة المعروفـة متأثرين ببيئتهم الضيقة، وهكذا تتعدد ألوان القول في المجتمع الواحد"([١٥]).

وقد تتغير مدلولات الألفاظ تبعاً لتغير طبيعة الشيء الذي تدل عليه أو لتغير ملابساتـه وظروفـه ، فلفظ الريشة - مثلاً - مدلوله السابق هو آلة الكتابة التي كانت تُتخذ من ريـش الطيـور ، أمـا الآن فأصبح يدل على تلك القطعة المعدنية في القلم وهكذا.....([١٦])

وقد أشار د. إبراهيم أنيس إلى أن هذا الاختلاف في المدلول اللفظي بين الأشخاص أو المجتمعـات قد يكون سبباً في الجدل والنقاش حيناً أو إلى النزاع والشجار أحياناً أخرى.

لذا لا بد للمتكلّم من مراعاة فهم السامع حتى يصل بهذا الكلام إلى قلبه ومنها إلى الحكم على ذلـك الكلام بالبلاغة ([١٧]) .

فانظر - مثلاً - إلى العصر الجاهلي كيف طغت البيئة وعناصرها على شعرائه في أي غرض مـن أغراضه ، وليكن قول أمريء القيس التالي مثالاً على ذلك :

"وكشحٍ لطيـفٍ كالجـديـل مخصـرٍ   وسـاقٍ كـأنبـــــوب الســـقي الـمـذلـل

وتعطو برخصٍ([٢٠]) غير شثنٍ([٢١]) كأنه   أساريع([١٨]) ظبيٍ أو مساويك إسحل(([١٩])

تضـيء الظـلام بالعشــاء كـأنـهـا   مـنـــارة مـمـســى راهـــــبٍ مـتبتّل(" ([٢٢])

فانظر الى الألفاظ (جديل ، أساريع ، ظبي ، ماسويك ، إسحل) فهي من عناصر التشبيه المستمدة من خبرات الشاعر البيئية ومشاهداته اليومية ، وقس على ذلك بقية الشعر في كلّ العصور ، فالأديـب الذي لا يكون أدبه صورة صادقة عن نفسه أو عصره أو مجتمعه وبيئته لا يعتد بما كتبه أو قاله إذا ما قيس بغيره ممن اهتموا بهذا الجانب . يقول العقاد في ذلك :

"والشاعر هو الذي يعبر عن النفوس الإنسانية فإذا كان القائل لا يصف حياته وطبيعته فـي قولـه فهو بالعجز عن وصف حياة الآخرين وطبائعهم أولى وهو إذاً ليس بالشاعر الذي يستحق أن يتلقى منه الناس رسالة حياة وصورة ضمير"([٢٣]) .

وقد ذكر صاحب العمدة من قبل ضرورة معرفة علم مقاصد القـول واختيـار الأسـلوب المناسـب للموقف المناسب ، وأن يعرف أغراض المخاطب كائناً من كان حتى يدخل إليه من بابه ويداخلـه فـي ثيابه ......([٢٤])

إلا أنه ينبغي الإشارة هنا إلى ما ذكره صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه من أن بعض الشعر يأتي رقيقًا سهلاً وبعضه يكون عكس ذلك ، ويرجع ذلك إلى طبع القائل وما جبل عليه...... ([٢٥]) فإذا كان ذلك يعود إلى طبع القائل وروحه فكيف به إذا صادف مخاطباً مخالفاً له في الطبع والجبلة؟!

لا شك أن كلامه سيكون غير واقع من نفس مخاطبه موقعاً حسناً وبالتالي فلن يحمد قوله ولن يكون مطابقاً لمقتضى الحال .

وتجدر الإشارة هنا إلى مانقله د. علي العماري عن بن خلدون في مقدمته عند تفسيره لمفهوم مقتضى الحال؛ فقد ذكر أن المطابقة - في نظره - موجودة سواء كان الرفع دالاً على الفاعل ، والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس . "ويدافع عن أشعار العرب وأهل الأمصار لعصره ، مع أن أهل الأمصار نشأت فيهم لغة مخالفة للغة سلفهم من مضر في الإعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية ، وبناء الكلمات ، ولكن الشعر موجود بالطبع في أهل كل لسان"([٢٦]) وللعرب من أهل جيله في أشعارهم بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون ، ومع ذلك فقد رفض بعض علماء عصره هذه الفنون التي اعتمدت على غير الفصحى مثل الزجل ، وعروض البلد ، ثم المزدوج والكازي والملعبة والغزل ، والمواليا ، وكان كان...... إلى آخر هذه الفنون التي كان يستعذبها أهلها وعشاقها ويجدون قمة البلاغة فيها لا في غيرها لأنها جاءت مطابقة للهجاتهم([٢٧]) .

هذا وقد علق ابن خلدون على ذلك بقوله :

"واعلم أن الأذواق كلها في معرفة البلاغة إنما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثرة استعماله لها ومخاطبته بين أجيالها ، حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية ، فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمشرق ، ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب"([٢٨]) .

ويعقّب على ذلك بتعليل مقنع وافقه فيه بعض علماء اللغة المحدثين ، هذا التعليل هو :

إن المتذوق لأي شعر لا يرى البلاغة إلا في شعر لغته لأن ملكته اللغوية تربت على تلك اللغة ومحاسنها فليس من الممكن أن يستعذب سواها([٢٩]) .

وهذا رأي صحيح بل لا يحتمل النقاش ، فإدراك البلاغة في لغة أو لهجة ما لا يكون إلا بعد التمكن من ناصية تلك اللغة وأسرارها .

ولعل النقطة التي تحتاج إلى تعقيب هنا - وقد لا يلتفت إليها بعض الناس - هي ظنهم أن بلاغة القول لا تكمن إلا في فصاحته ، ويريدون هنا اللغة العربية الفصحى متناسين أي اعتبار آخر .

لذا ينبغي التأكيد على أن البلاغة هي مازالت عند تعريفها الأصيل والتزامها بهذا التعريف قلباً وقالباً ، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وقد يكون حال السامع أكثر أهمية من حال المتكلم حتى يحكم على القول بالبلاغة أو عدمها . يقول الزيات :

"...... فالبلاغة إذا توجه إلى العقل أو إلى القلب أو إليهما معاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى منفردة أو مجتمعة ، فإذا كان غرض البليغ نفي جهالة أو توضيح فكرة أو تقرير رأي أجزاءه في وفاء غرضه الصحة والوضوح والمناسبة ، فإذا أراد التعليم أو الإقناع وكان قوام الموضوع طائفة من الفكر والأدلة وجب عليه أن ينسقها ويسلسلها على مقتضى الأصول المقررة في المنهج العلمي الحديث"([٣٠])

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي اهتم بخطاب العقل والقلب معا ، ولا يخفى على علماء

العربية وجهابذة اللغة مدى بلاغته ومراعاته لمقتضى الأحوال ، وكيف يخفى عليهـم ذلـك وهـو معينهم الأول ورافدهم الأصيل؟!

نعم قد أعجز القرآن الكريم بقوة بيانه فصحاء قريش وكل من اشتهروا بالبلاغة فيهم . ومـا زال كذلك وسيظل رغم اختلاف الثقافات وزيادة القدرات اللغوية وتباين اللهجات ، لذا سـيكون القـرآن نفسه هو رافدنا في هذا البحث ومعيننا الذي لا ينضب في إضاءة الزوايا الخاصة بمفهوم مقتضى الحال ، والتي بفضل من الله وتوفيق تمكن هذا العمل من الوصول إلى توضـيحها مـن خـلال الاسـتشهاد بأسلوب القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

بيان زوايا المفهوم وإضاءتها في ضوء أسلوب القرآن الكريم تحديد زوايا مفهوم مقتضى الحال

أ–حال السياق :

لعل مما جاء به القرآن الكريم مراعياً حال السياق ومفهومه مثل قوله تعالى([٣١]) :

{ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام }

فالضمير في قوله "عليها" ليس له عائد سابق يوضحه ولكنه يفهم من سياق الآيات قبلـه([٣٢]) ؛ فالسورة الكريمة من بدايتها تحدثت عن خلق الإنسان والسماوات والأرض وما بينهما وما تحتويانـه من نعم كثيرة([٣٣]) ، فالمناسب أن يذكر السياق الكريم أن كل من عليها فان وأن البقـاء لله - عـز وجل - فلا يجد السامع في تحديد المقصود من هذا الضمـير صعوبة لفهمـه مـن سـياق الآيـات الكريمات .

وقد يكون حال السياق ومفهومه سبباً في تنكير بعض الألفاظ التي تدل في مكانها على معان خاصة لا يتوصل إليها إلا ضمن ذلك السياق كما جاء في شأن الكفار في قوله تعالى([٣٤]) :

{ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم }

فالذي يستنبط - من خلال دراسة السياق - في تنكير لفظ (غشاوة) دلالة على النوعية - كما ذهب الزمخشري -([٣٥]) أي نوع خاص من الغشاوة المناسبة لكفرهم ، وذهب آخرون إلى أنها غشـاوة عظيمة ، وما في هذا الرأي بعد عن قول الزمخشري؛ فالنوعية لفظ عام يحتمل الغشـاوة العظيمـة أو غيرها .

وقد لا يكون التنكير دالا على النوعية فقط في سياق القرآن فقد يقتضي الحال أن يكـون التنكيـر موحياً بغير ذلك ، فاستمع إلى قوله تعالى([٣٦]) :

{ وعد اللهُ المؤمنين والمؤمناتِ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسـاكن طيبـة فـي جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم }

فالحال في الآية الكريمة يوحي أن المراد من التنكير هنا هو التقليل بمعنى أن أي "رضـوان" مـن المولى - عز وجل - مهما قل هو أعز على العبد المؤمن من كل ما ذُكر في الآية الكريمة قبله؛ لأنـه سبب في دخول الجنة وأي سبب؟! ولا أدل على ذلك من ما جاء بعدها وهو قوله تعالى :

{ ذلك هو الفوز العظيم }

كما يمكن أن يقصد من التنكير رضوان الله - عز وجل- وتقديسه([٣٧]) ، وقد يؤدي حال السياق إلى أن تقتضي الجملة الأولى سؤالاً يفهم بمعونة القرائن وسياق الأحوال ، يقدر هذا السؤال السامع ، فتأتي الجملة الثانية أو الآية الثانية إجابة عن هذا السؤال المقدر([٣٨]) كما جاء في قولـه تعـالى([٣٩]) :

{ قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح }

فلأن السياق في الآية الأولى تضمن حكماً غريباً ، إذ المخاطب هو نوح عليه السلام والحديث عن ابنه ، ومع ذلك قيل له ليس من أهلك؟ فكيف يكون ذلك؟!

هذا هو السؤال المقدر والذي يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة ، فما كان من السياق الكـريم إلا أن راعى هذا الاعتبار وذلك الإنكار - المقدر - فجاءت الإجابة بأسلوب توكيدي { إنه عمل غير صالح }

كما قد يقتضي حال السياق أيضا أن تشتمل الجملة الأولى على استفهام تقريري يثير التعجب مـثل قوله تعالى([٤٠]) :

{ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل}

وقوله عز من قائل([٤١]) :

{ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت }

فالإجابة في الجملة الثانية من كل آية من الآيتين السابقتين هو مقتضى حال السيـاق وضـرورة مطلوبة ليتم الكلام ويأتي على أبلغ وجه وأكمله؛ فتقدير السؤال المحذوف هو : (ماشأنهم؟) .

ب-حال المتكلم:

أما الزاوية الثانية من مراعاة مقتضى الحال؛ فهي مراعاة حال المتكلم وبيـان مـاتنطوي عليـه سريرته فانظر - مثلاً - إلى قوله تعالى([٤٢]) :

{ هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد }

فجاءت لفظة (رجل) نكرة رغم معرفة المشركين لرسول الله ﷺ والتنكير لم يقصد به القرآن الكريم قطعاً الحط من قدره ﷺ وإنما نقل - بهذه الطريقة - مشاعرهم الحاقدة تجاه خير الأنام عليه الصـلاة والسلام .

ويراعي القرآن الكريم أيضا حال المتكلم عندما قال عز وجل([٤٣]) :

{ ربي إني وضعتها أنثى }

فالآية تنقل لنا إحساسها بالحزن والحسرة ، بدليل ماجاء بعدها مباشرة وهو قوله تعالى([٤٤]) :

{ والله أعلم بما وضعت }

كذا في قوله تعالى([٤٥]) :

{ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سـبحانك إني كنت من الظالمين }

فليس المقصود من التأكيد هنا إلا حال المتكلم وحسه بالمعنى وأنه متقرر في نفسـه مؤكـد فـي ضميره ، وتجد هذا في توكيد الخبر بــ(إن) ([٤٦]) في قوله :

{ إني كنت من الظالمين }

كذلك في قوله تعالى([٤٧]) :

{ ربي إني أسكنت من ذُريتي بوادٍ غير ذي زرع }

وفي قوله([٤٨]) :

{ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان }

وشبه ذلك كثير ، وكله يحمل على اعتبار حال المتكلم وقوة إحساسه بالمعنى([٤٩]) .

ج – حال المخاطب :

والمقصود هنا مراعاة حال المخاطب في أي زمان و مكان من حيث عدم علمه بالخبر وخلو ذهنـه منه ، أو إعلامه أن المتكلّم لديه علم بما يخفيه عنه ذلك المخاطب أو مخاطبته بالطريقة التي تليق به إن كان منكرا للخبر أو متردداً في صدقه .

فإذا كان المخاطب لا يعلم عن الأمر الملقى إليه شيئًا ألقي إليه الكلام مجرداً من أي مؤكّد لفظـي؛ لأن حال جهله بالخبر تقتضي ذلك([٥٠]) ، مثال قوله تعالى([٥١]) :

{ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم }

فهذه الدعوة الحميمة من المولى عز وجل لم تكن في خُلد السامعين وليس لديهم علم بها، لذا جاء الخطاب في أبسط تركيب وأسهله وهو ما يسمى بـ"فائدة الخبر" ، وكل ماجاء كذلك؛ فهـو مـن هـذا الباب مادام المخاطب ليس لديه علم مسبق عن هذا الخبر .

والحالة الثانية التي يمكن أن يكون عليها المخاطب وينبغي أن يكون الكلام مطابقاً لها؛ هي علمـه بذلك الأمر ورغبة المتكلم في إخباره أنه يعلم بالموضوع كأن يقول شخص لآخر :

رأيتك تُنصت إلى قراءة القرآن ، أو : علمت بسفرك أمس .

ومنها قوله تعالى([٥٢]) :

{ ...... ماكان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيا }

فالمخاطبة أكثر الناس علماً بأبيها وأمها ، فقد كانا من بيت يعلم شرفه ومكانته فـي القـوم([٥٣]) وهذا ما يسمى بلازم الفائدة لذا جاء خالياً من أدوات التوكيد([٥٤]) .

ومنه قوله تعالى عن المنافقين([٥٥]) :

{ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون }

فالمخاطب بالقرآن والمنزل عليه الوحي هو رسول الله ﷺ كما هو معلوم - والمستمعون بعد لهذه الآيات فهم المؤمنون ومنهم المنافقون([٥٦]) ، فيعرفهم السياق الكريم بهذه الأمور التي قد يظ نون خفاءها عن غيرهم ، ولأن الأمر معلوم ومسلم به لديهم ولدى الرسول الكريم ﷺ فقد اقتضت الحال أن يأتي الكلام خالياً من أي مؤكّد من المؤكّدات .

أما عند الإخبار عن فسقهم فيؤكد الخبر بأكثر من مؤكّد([٥٧]) ، وذلك لإنكـار المنـافقين وعـدم اعترافهم بفسقهم .

أما قوله تعالى([٥٨]) :

{ وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير }

فالمخاطب هنا يعلم بهذه الحقيقة ولكنه يحتاج إلى شدة التنبيه والتأكيد على ضرورة عدم الحـزن من القوم وحالة إعراضهم عنه وكأن حاله عليه الصلاة والسلام قد وصلت إلى حد من يعتقد أنه يملك مع الإنذار القدرة على هدايتهم وهيهات أن يكون له ذلك([٥٩]) .

وقد تقتضي حال المخاطب أن يؤكد له الكلام بأحد المؤكّدات ، كأن يكون ظاناً في الأمر أو شاكاً أو متردداً أو منكراً تماماً لذاك الخبر([٦٠]) .

وهنا لا بد من قرينة حالية أو مقالية يلاحظها المتكلم أو يقرؤها حتى يعلم إلى أي من هؤلاء ينتمي

مخاطبه؛ ليلقي إليه كلامه موافقاً ومطابقاً لتلك الحال ، وهذا ما يعرف بخروج الكلام على مقتضـى الظاهر([٦١])؛ فإذا كان المخاطب متردداً أو شاكاً في ثبوت ما يقال له؛ فمقتضى هذه الحال أن يلقـى إليه الكلام مؤكداً بإحدى المؤكّدات كما جاء في قوله تعالى([٦٢]):

{ ... سيجعل الله بعد عسر يسرا }

فالآية موجهة إلى الرجل المطلّق الذي ليس لديه سعة من المال والذي تطالبه الشريعة - رغم ذلك - بالإنفاق قدر استطاعته على زوجه الحاضنة لابنه ، فالمخاطب هنا قد يكون لديه شك أو تردد في أن تعوض له هذه النفقة من الله عـز وجل([٦٣]) فكـان مـن مقتضى الحال أن يثبت له القرآن الكر يم ذلك ويؤكّده بأحد المؤكّدات - وهي السين - حتى يزيل عنه ذلك الشك أو التردد .

كذلك في قوله تعالى([٦٤]) :

{ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله...... } الآية

فالآية تخاطب قوماً يرون في الرسول الكريم ﷺ القدرة على أن يملك لنفسه الضر والنفـع ويعلـم الغيب([٦٥]) ؛ فناسب حالة الشك هذه أن يقترن الأسلوب بالنفي والاستثناء - وهي طريقة من طـرق التأكيد - وما ذاك إلا لإزالة الشك من نفوس المخاطبين([٦٦]) .

أما عند مخاطبة المنكر للأمر؛ فلا بد من سبر أغوار نفسه ومعرفة مدى قوة ذلك الإنكار حتى يأتي الخطاب مقروناً بمؤكدات كافية تناسب ذلك وحتى يكون الكلام مطابقاً للحال . وأمثلة ذلك كثـيرة فـي القرآن الكريم؛ فاستمع - مثلاً - إلى قوله تعالى([٦٧]) :

{ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هـم المفسـدون ولكـن لا يشعرون }

فالآية الكريمة ينقل لنا حالتهم وعلمهم بعدم تصديق السامع لهم؛ فدعاهم ذلك إلى تأكيد حديثهم بـ (إنما) ويأتي الرد مناسباً لإنكارهم تلـك الحقيقـة والمـداراة منـهم . لذا جـاء الكـلام مؤكّداً بأكثر من مؤكّد وذلك حسب قوة إنكارهم([٦٨]) .

ومثله ماجاء في قوله تعالى([٦٩]) :

{ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكـذبوهما فعززنـا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن مـن شـيء إن أنتـم إلا تكذبون }

ثم قالوا في المرة الثانية([٧٠]) :

{ ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون }

فمقتضى ماهم عليه من حال الإنكار في المرة الأولى أن يأتي كلام المرسلين مؤكداً بأحد المؤكدات وهي (إن) - فقط - في قوله([٧١]) :

{ إنا إليكم مرسلون }

واقتضت حال الإنكار الثانية وهي أشد من الأولى أن يأتي السياق الكريم بأكثر مـن مؤكّـد([٧٢])؛ لإثبات ماجاءوا به ولإزالة تكذيب المخاطبين وإنكارهم للدعوة الراشدة ، فجاء في سياق الآية الكريمة (إن ، ولام الابتداء) التي اقترن بها الخبر ، مع ما يشعر بالقسم في قوله { ربنا يعلم } .

ومن مقتضى الحال أيضا أن يؤكّد القرآن الكريم أمرا حقيقياً لا جـدال فـي وقوعـه ، وذلـك لأن

المخاطب أصابته الغفلة عن إدراك تلك الحقيقة أو مجرد التفكير في المصير .

فقال تعالى([٧٣]) :

{ ثُمّ إنكم بعد ذلك لميتون ثُمّ إنكم يوم القيامة تبعثون }

فالموت والبعث - لدى المؤمن - أمران لايحتاجان إلى تأكيد ، أما الكافر فقد اقتضت حاله أن يؤكد له ذلك بأكثر من مؤكّد

تلك هي الأحوال التي يراعي فيها المتكلّم حال المخاطب الظاهرة......([٧٤])

مطابقة الحال مع مخالفة الظاهر

وهنا قد تتطلب الظروف أن يتغاضى البليغ عن حال ظاهرة؛ فيخالف القواعد المذكورة ويأتي حديثه - رغم ذلك - بليغاً لأنه طابق فيه الحال . فلو طُلب - مثلاً - من مسلمٍ عدم الإهمال في صلاته رغم علمه بوجوب ذلك فيقال له :

صلواتك الخمس حافظ عليها ولا تترك واحدة منها .

فلا بد أن حالة إهماله في صلاته كلها أو في بعضها اقتضت أن يحدث بالطريقة التي يحـدث بهـا الجاهل بالخبر وذلك لعدم عمله بموجب ذلك العلم([٧٥]) .

كذا إذا خوطب غير المنكر للخبر أو للحكْم مخاطبة المنكر كما جاء في قوله تعالى([٧٦]) :

{ إنك لا تهدي من أحببت ......} الآية

فالمخاطب هو رسول الله ﷺ وهو غير منكر لذلك ، ويعلم تماماً أن الهداية من الله وحده عز وجل وبإرادته سبحانه وتعالى ولكـن لفـرط حرصه عليه الصلاة والسلام ولاهتمامه بتبليغ الدعوة كان مشقّاً على نفسه في محاولة هداية من أحب من قومه وكل من حوله من أهله ، فكان من مقتضى هذه الحال أن يخاطب مخاطبة المنكر للخـبر لأن تصرفه عليه الصلاة والسلام وحرصه الشديد اقتضيا ذلك الأسلوب في الخطاب([٧٧]) وهو التأكيـد بـ (إن) في قوله :

{ إنك لاتهدي من أحببت......} الآية .

كذا قد يخاطب المنكِر مخاطبة غير المنكِر؛ فلا يؤكد له الكلام بأي مؤكد لوجود الأدلة الواضحة على صدق ما يقال لـه كما جاء في قوله تعالى([٧٨]) :

{ ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين }

فرغم أن القران الكريم نزل على محمد ﷺ وخاطب به المشركين المنكـرين لـه ، إلا أن الآيـة - وأمثالها كثير([٧٩]) - خلت من أدوات التوكيد ، لأن السامعين يشهدون شهادة لايـدانيها شـك فـي فصاحته وبلاغته التي أعجزتهم([٨٠]) .

وقد يخاطب غير السائل مخاطبة السائل المستشرف للحقيقة ، كما يقال لشخص - مثلاً - :

لاتجادل في الحق ، فالحق أحق أن يتبع فحال السامع هنا اقتضت هذا الخطاب الذي قُدر قبله سؤال محذوف بعد نهاية الجملة الأولى مباشرة ، وهو (لِمَ لا أجادل في الحق ؟) ([٨١]) .

ومن هذا الباب قوله تعالى([٨٢]) :

{ ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم }

فلما أمر السياق الكريم بتقوى الله وحذر من عقابه تطلعت نفس السامع إلى معرفـة السبـب مـع

الشك في العقاب ، فجاءت الإجابة مطابقة للحال أو مقتضية لذلك الشك إذ اقترن الأسلوب بـ ـ(إن) المؤكدة للخبر المذكور في الآية الكريمة .

كمـا قد تقتضي حال المخاطب - الذي يعتقد بشيء مخالف للواقع - أن تقلب عليه ذلك الاعتقـاد كقولك - مثلا - : ما فاز إلا محمد (لمن ظن أن غيره هو الفائز) . ومثلها من القرآن قوله تعـالى([]) ([٨٣]) :

{ واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا...} الآية .

كذا في حال ظن السامع اشتراك شخصين أو شيئين في حكـم واحـد فالحـال تقتضـي أن تأتـي بخصائص أسلوبية تُفرد له شيئاً أو شخصاً واحداً في ذلك الحكم ، فنقول لمن ظن أن زيـداً ومحمـداً قادمان : إنما القادم زيد .

ومنها قوله تعالى([٨٤]) :

{ قل هو الله أحد الله الصمد...... } الآيات

يخاطب بها من ظن أن الله سبحانه وتعالى يشترك مع غيره في هذه الصفات ، فكل آية من السورة تفرد له صفة لا يمكن أن يشاركه فيها غيره([٨٥]) سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

ومنها قوله تعالى([٨٦]) :

{ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو }

يخاطب بها كل من ظن أو أشرك مع الله سبحانه وتعالى أحدا في معرفة الغيب([٨٧]) .

وساعد على ذلك أسلوب القصر في قوله :

{ لا يعلمها إلا هو }

تعقيب

ماقيل في مراعاة مقتضى الحال في المجالات السابقة يمكن أن يقاس عليه كل ما لم يذكر هنا .

وما الاكتفاء بذكر بعض من كل في الأمثلة إلا لأن الأحوال كثيرة ، ومقتضياتها مثلها ، سواء كـان ذلك في مجال مراعاة الظاهر أو مخالفته لضرورة بلاغية - كما أشرنا - ، وسواء كان ذلك في الحذف أو الذكر أو التقديم أو التأخير أو الفصل أو الوصل أو الإيجاز - حيناً - أو الإطنـاب آخـر أو عنـد الحاجة إلى التمثيل أو التصوير أو استعمال الكناية أو التعريض في بعض المواقف ...... وما إلى ذلك من أساليب يرى البليغ ضرورة استخدامها لمراعاة حال السياق ، أو المتكلم نفسه أو المخاطـب ومـا يحيط بذلك المخاطب من ظروف بيئية وثقافية واجتماعية يصعب حصرها هنا ، الأمر الذي يتطلب حذق المتكلم ومهارته مع استعداده الفطري واللغوي فضلاً عن ثقافته البلاغية ولباقتـه المطلوبـة لبلـورة حديثه وتشكيله وصياغته وفق الغرض الذي يريد ، والمقام الذي يلقي فيه حديثه ، ليأتي ذلك الحديـث مطابقاً للحال مناسباً للمقام مصيباً للهدف واقعاً من نفس السامع أحسن موقع .

يقول الجاحظ رحمه الله :

(ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم)([٨٨]).

لذا كان القرآن الكريم خير حديث وأوقع كلام في نفوس سامعيه ، فيه لذات العقول والأرواح ومعه تكون الطمأنينة وراحة الوجدان([٨٩]) ، لا يصل إلى مرتبته البيانية بشر من الفصحاء ولا أديب مـن الأدباء - وإن عاون بعضهم بعضاً - .

قال تعالى([٩٠]) :

{ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كـان بعضهـم لبعض ظهيرا }

• • •

الهوامش والتعليقات

([١]) التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي ص٣٣، ط(١) ، سنة ١٩٠٢م، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

([٢]) شروح التلخيص، ١/١٥٥.(عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح.بهاء الدين السبكي) . ط (بدون) دار السرور بيروت - لبنان .

([٣]) نفسه ، ص ١٢٣(شرح سعد الدين التفتازني على تلخيص المفتاح.للقزويني)(بتصرف)

([٤]) نفسه، ص١٢٦ (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي) (بتصرف).

([٥]) نفسه، ص١٢٦ (نفسه) (بتصرف).

([٦]) نفسه، نفس الصفحة.

([٧]) معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة، ص٨٤، ط(٣) مزيدة ومنقحة، دار المنارة للنشر (جدة)، دار الرفاعي للنشر (الرياض).

([٨]) نفسه، نفس الصفحة (بتصرف)، كذلك انظر البلاغة فنونها وأفنانها، د.فضل عباس (علم البيان والبديع)، ص١١-١٢، دار الفرقان للنشر والتوزيع، (بتصرف).

([٩]) سورة النساء : ٨٢

([١٠]) خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.محمد أبو موسى، ص٣٨-٣٩، (بتصرف)، ط(٢)، مكتبة وهبة، القاهرة.

([١١]) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.يحي بن حمزة العلوي اليمني.١/١٢٢ . ط سنة١٩٨٢-دار الكتب العالمية .بيروت لبنان.

([١٢]) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص٢٤٧، ط(٧)،سنة١٩٩٤ م ، مكتبة الأنجلو المصرية .

([١٣]) أسرار البلاغة، د.عبدالقاهر الجرجاني، شرح وتعليق وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي و د.عبدالعزيز شرف، ص٣٠١، دار الجيل، بيروت.

([١٤]) فقه اللغة، د.علي عبدالواحد وافي، ص٢٣٧، ط(٧)، (بتصرف)، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

([١٥]) التطور اللغوي التاريخي، د.إبراهيم السمرائي، ص٣٦، ط(٣) ، سنة ١٩٨٣م، دار الأندلس، بيروت.

([١٦]) (نفسه). (نفس الصفحة). (بتصرف)

([١٧]) دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، ص٩، ط(٥)،سنة١٩٨٤م، (بتصرف)، مكتبة الأنجلو المصرية.

([١٨]) الأسروع واليسروع: دود يكون في البقل والأماكن الندية، تشبه أنامل النساء به وهي صورة قديمة. فضلاً انظر تفصيل وشرح الأبيات في(شرح المعلقات السبع .أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني.ص ٣١-٣٢ ط سنة ١٩٧٩م .دار الجيل بيروت .

([١٩]) إسحل: شجرة تدق أغصانها في استواء.انظر معجم مقاييس اللغة .بن فارس تحقيق عبد السلام هارون. ط سنة١٣٦٨هـ (سحل) (بتصرف) .

([٢٠]) الرخص : اللين الناعم . انظر اساس البلاغة . جار الله الزمخشري . تحقيق عبد الرحيم محمود ط سنة ١٩٨٢م . دار المعرفة . بيروت - لبنان (بتصرف) .

([٢١]) الشثن : الغليظ الكز . (نفسه) . (شثن) . (بتصرف) .

([٢٢]) انظر شرح المعلقات السبع، ، ص٣١-٣٢.

([٢٣]) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، ص١٣٣، ط(٣)،سنة ١٩٦٥م، مكتبة النهضة المصرية.

([٢٤]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد

الحميد، ١/١٩٩، ط(٤)،سنة ١٩٧٢م، دار الجيل، سوريا، (بتصرف).

([٢٥]) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق أبو الفضل إبراهيم البجاوي، ص١٧، ط سنة ١٩٤٥م (بتصرف).

([٢٦]) الصراع الأدبي بين القديم والجديد، د.علي العماري، ص١٨٤، ط سنة ١٩٦٥م، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

([٢٧]) مقدمة بن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، ص٦٠٣-٦٠٤(بتصرف)، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان.

([٢٨]) نفسه، نفس الصفحات.

([٢٩]) نفسه، ص٦١٤(بتصرف)، وافق بن خلدون في نفس الرأي د.إبراهيم أنيس، في نصه المذكور من قبل، فضلاً انظر ص٧ من هذا البحث.

([٣٠]) دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، ص ٢٣، مطبعة النهضة، سنة ١٩٦٧م، مطبعة الرسالة، سنة ١٩٤٥م.

([٣١]) سورة الرحمن: ٢٦

([٣٢]) البلاغة فنونها وأفنانها، د.فضل عباس (علم المعاني)، ص١٣٠(بتصرف).

([٣٣]) سورة الرحمن: ١-٢٦

([٣٤]) سورة البقرة: ٧

([٣٥]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي)، ص ١٦٥ ط سنة ١٩٢٧م، مطبعة مصطفى الحلبي وشركاه.

([٣٦]) سورة التوبة: ٧٢

([٣٧]) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص255.

([٣٨]) الاستئناف البياني(دلالته وفنيته)، د.سعاد محمود نحلة، مجلة الزهراء، ص٤٩٦، كلية الدراسات الإسلامية والعربية(بنات)، جامعة الأزهر، العدد الثالث عشر، سنة١٤١٥هـ (بتصرف).

([٣٩]) سورة هود: ٤٦

([٤٠]) سورة النساء: ٤٤

([٤١]) نفس السورة: 51

([٤٢]) سورة سبأ: ٧

([٤٣]) سورة الأعراف: ٣٦

([٤٤]) نفس الآية السابقة.

([٤٥]) سورة الأنبياء: ٨٧

([٤٦]) دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د.محمد أبو موسى، ص١٠٣، ط(١)،سنة ١٩٧٩م، مكتبة وهبة القاهرة.

([٤٧]) سورة إبراهيم: ٣٧

([٤٨]) سورة آل عمران: ١٣٩

([٤٩]) دلالات التراكيب، ص١٠٤(بتصرف).

([٥٠]) البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)، د.بكري شيخ أمين، ٥٦/١(بتصرف)، ط(٣)، سنة ١٩٩٠ م، دار العلم للملايين.

([٥١]) سورة يونس: ٢٥

([٥٢]) سورة مريم: ٢٨

([٥٣]) تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ١٠٨/٣، ط سنة١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

([٥٤]) من المؤكدات: إن، أن، ألا الاستفتاحية، ضمير الفصل، فضلاً انظر ذلك في البلاغة في ثوبها الجديد

ص٦١.

([٥٥]) سورة التوبة: ٦٧

([٥٦]) تفسير ابن كثير ٢٦٨/٢، ط سنة ١٩٨١م، (بتصرف).

([٥٧]) المؤكدات هنا (إن، ضمير الفصل، أل التعريف).

([٥٨]) سورة فاطر: ٢٢

([٥٩]) دلالات التراكيب، ص١٠٩(بتصرف).

([٦٠]) الإيضـــاح فـي علوم البلاغة (الخطيب القزويني)، شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، ٩٢/١-٩٣، ط(٥)، سنة ١٩٨٠م،(بتصرف).

([٦١]) المرجع السابق/ ص٩٣(بتصرف).

([٦٢]) سورة الطلاق: ٧

([٦٣]) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، محمد بن محمد العمادي، ٢٦٣/٨، ط(بدون)، دار إحياء التراث (بتصرف).

([٦٤]) سورة الأعراف: ١٨٨

([٦٥]) تفسير البحر المحيط (أبو حيان الأندلسي)، ٤٣٦/٤، ط(٢)، دار الفكر.

([٦٦]) من بلاغة القرآن، د.أحمد أحمد بدوي، ص١٥٨، ط(بدون)، دار نهضة مصـر للطباعـة والنشـر (بتصرف).

([٦٧]) سورة البقرة: ١١-١٢

([٦٨]) المؤكدات هنا هي: ألا الاستفتاحية، إن، ضمير الفصل.

([٦٩]) سورة يس: ١٣-١٤

([٧٠]) سورة يس: ١٥

([٧١]) سورة يس: ١٦

([٧٢]) من بلاغة القرآن، ص١٤٥(بتصرف).

([٧٣]) سورة المؤمنون: ١٥-١٦

([٧٤]) من بلاغة القرآن، ص١٤٧(بتصرف).

([٧٥]) البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)، ص٧٣ (بتصرف).

([٧٦]) سورة القصص: ٥٦

([٧٧]) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، عبدالله بن محمد الأنصـاري القرطـبي، ٥٠١٥/٦، كتـاب الشعب (بتصرف).

([٧٨]) سورة البقرة: ١

([٧٩]) انظر مثلاً الآيات (سورة إبراهيم: ٣٢-٣٣)، (الكهف: ١)، (النور: ١).

([٨٠]) انظر قول الوليد بن المغيرة عن القرآن في القرآن المعجزة الكبرى، د.محمد أبـو زهـرة، ص٥٦، دار الفكر العربي.

([٨١]) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٩٣/٢ (بتصرف).

([٨٢]) سورة الحج: ١

([٨٣]) سورة البقرة: ١٠٢

([٨٤]) سورة الإخلاص: ١-٢

([٨٥]) تفسير أبي السعود، ٢١٢/٩(بتصرف).

([٨٦]) سورة الأنعام: ٥٩

([٨٧]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ١٩٥/٢(بتصـرف)، ط(بـدون)، عالم الكتب، بيروت.

([٨٨]) البيان والتبيين (الجاحظ)، تحقيق عبدالسلام هارون، ٩٣/١، ط سنة ١٩٧٥م، دار المعارف، مصر.

([٨٩]) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص١٩(بتصرف)، ط(٩)، سـنة ١٩٧٣م، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

([٩٠]) سورة الإسراء: ٨٨

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم .

٢-الاستئناف البياني (دلالته وفنيته) ، د. سعاد محمود نحلة ، مجلة الزهراء ، جامعة الأزهر ، العدد(٣) ، سنة ١٤١٥هـ .

٣-أساس البلاغة . جار الله ابي القاسم الزمخشري . تحقيق عبد الرحيم محمود . ط سـنة ١٩٨٢ م . دار المعرفة بيروت لبنان

٤-أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، شرح وتعـليق د. محمـد عبد المنعم خفـاجي و د.عبـد العزيز شـرف ، ط(١) سنة ١٩٩١م ، دار الجبل - بيروت .

٥-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصـطفى الرافعـي ، ط(٩) ، سنة ١٩٧٣م .

٦-الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شـرح وتعليق وتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجـي ، ط(٥) ، سنـة ١٩٨٠م .

٧-البلاغة فنونها وأفنانها ، د. فضل عباس (علم البيان والبديع) .

٨-البلاغة فنونها وأفنانها ، د. فضل عباس (علم المعاني) ، ط(١) ، سنة ١٩٨٥م ، دار الفرقان للنشر و التوزيع .

٩-البلاغة في ثوبها الجديد ، د. بكري شيخ أمين (علم المعـاني) ، ط(٣) ، سـنة ١٩٩٥م ، دار العلـم للملايين ، بيروت - لبنـان .

١٠-البيان والتبيين أبـوعثمان عـمرو بن بحر الجاحظ ، تحـقيق د. عبد السـلام هـارون ، ط سـنة ١٩٧٥م ، دار المعارف - مصر .

١١-التطـور اللغـوي والتاريخي ، د. إبراهيـم السمرائي ، ط(٣) ، سـنة ١٩٨٣م ، دار الأنـدلس ، بيروت - لبنان .

١٢-تفسير البحـرالمحيـط ، أبو حيان الأندلسي ، ط(٢) دار الفكر للطباعة والنشر .

١٣-تفسـير ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير) ، ط سنة ١٩٨١م ، دار الفكر للطباعة والنشـر ، بيروت - لبنان .

١٤-تفسـير أبـي السعـود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكـريم) ، محمـد بـن محمــد العمـادي ، ط(بدون) ، دار إحياء التراث ، بيروت .

١٥-تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطـبي ، كتـاب الشعب .

١٦-التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، ضـبط وشـرح عبد الرحمن البرقـوقي ط(١) ، سنة ١٩٠٤م ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

١٧-خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د. محمد أبـو موسـى ، ط(٢) ، سـنة ١٩٨٠م ، مكتبة وهبة القاهرة .

١٨-دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ، مطبعة النهضة سنة ١٩٦٧م ، مطبعة الرسالة سنة ١٩٤٥ م .

١٩-دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، ط(٥) ، سنة ١٩٨٤م ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة .

٢٠-دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) ، د. محمد أبو موسى ، ط(١) ، سنة ١٩٧٩م ، مكتبـة وهبـة ، القاهرة .

٢١-شرح المعلقات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، ط(٣) ، سنة ١٩٧٩م ، دار الجيـل ، بيروت - لبنان .

٢٢-شروح التلخيص ، ط(بدون) ، دار السرور ، بيروت - لبنان .

٢٣-شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، عباس العقاد ، ط(٣) ، سنة ١٩٦٥م ، مكتبـة النهضـة المصرية ، القاهرة .

٢٤-الصراع الأدبي بين القديم والجديد ، د. علي العماري ، ط سـنة ١٩٦٥م ، دار الكتـب الحديثـة ، القاهرة .

٢٥-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقـــيق محمد محي الديـــن عبد الحميد ، ط(٤) ، سنة ١٩٧٢م ، دار الجيل ، بيروت .

٢٦-فقه اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، ط(٧) ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة .

٢٧-القرآن المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، ط سنة١٩٧٠م ، دار الفكر العربي .

٢٨-كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي اليمـني ، ط سنة ١٩٨٢م بإشراف جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

٢٩-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمد بن عمـر الزمخشري الخوارزمي حقق الرواية محمد الصادق قمحاوي ، ط(الأخيرة) ، سنة ١٩٢٧م .

٣٠-معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، ط(٣) ، سنة ١٩٨٨م (مزيدة ومنقحة) ، دار المنارة للنشر (جدة) ، دار الرفاعي (الرياض) .

٣١-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط(بدون) ، كتاب الشعب .

٣٢-معجم مقاييس اللغة . أبو الحسن أحمد بن فارس . تحقيق عبد السلام هـارون . ط١ سـنة ١٣٦٨ هـ . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية . عيسى الحلبي وشركاه .

٣٣-مقدمة بن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون) ، تحقيق درويش الجويـدي ، ط(١) ، سـنة ١٩٩٥م ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان .

٣٤-من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، ط(بدون) ، سنة ١٩٩٤م ، مكتبة الآنجلو المصرية .

٣٥-من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، ط سنة١٩٥٠م ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مصر .

٣٦-الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني (القاضي الجرجاني) ، تحقيق أبـو الفضل إبراهيم البجاوي ط سنة ١٩٤٥م .